وما يتعلَّــق بها من أمور الدِّيــنُ فإنَّ المحافظــة عليها والقيام بأدائهــا كما يجب إنَّما يكون ابتغــاء مرضاة الله، ووفق ما جاء عنــه. وفي قول المســيح هذا دليــلٌ على أنَّــه كان يتجنَّب ما اســتطاع الخوض في أمور السُّــلطة الزَّمنية؛ ليحمي نفسه من كيد أعدائه.

يحيى عليه السلام:

تسمِّيه الأناجيل (يوحنا المعمدان) أي: الَّذي يقوم بمهمَّة التَّعميد، وهي الغسل بماء نهر الأردن لكلّ مولود في اليهودية، للتَّوبة من الخطايا، والتَّطهير من الذُّنوب على ما ســيكون منه، وللرَّاشــدين على ما كان منهم. حتَّى إنَّ عيسى ابن مريم نفسه جاء إليه من الجليل إلى الاردن؛ ليتعمد منه[1].

وكان (يوحنا) -كما جاء في الإنجيل- يسكن البرية، ويأكل الجراد، ويلبس وبر الإبل، ويتمنطق بالجلود، اتَّخذ له بالقرب من نهــر الأردن مكاناً يأتيه اليهود فيــه؛ ليتعمدوا منه معترفين بخطاياهم[2].

(١) إنجيل متى: ٣/ ١٣.
(٢) إنجيل متى:٣/ ٦.

وفي معرض تبشيره بالمسيح يقرِّر أنَّ المسيح عليه السلام أقوى منه وأنه -أي يحيى- عليه السلام لا يستحقُّ أن يحمل حذاءه[1]. وفي موضعٍ آخر أنَّه لا يستحقُّ أن يحلَّ سير حذائه[2].

ويقول صاحب الإنجيل الرَّابع عن يوحنا المعمدان: إنَّه لم يكن هو النُّور بل كان ليشهد للنُّور[3]. وجاء في إنجيل (متى) عن المسيح قوله عن يحيى عليهما السَّلام:

إنَّه نبيٌّ، بل أفضل من نبيٍ، وإنَّه ملاك أرسله الله أمام المسيح يهيئ طريقه وسيسبقه في مجيئه الثَّاني عند انقضاء العالم، كما سبقه في المجيء الأوَّل[4].

وأمَّا القرآن الكريم فقد وضع يحيى عليه السلام في موضعه الملائم بين الأنبياء والرُّسل عليهم السَّلام، وامتدحه في طباعه وصفاته. قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ١٢-١٥].

---

(١) إنجيل متى: ٣/ ١١.

(٢) إنجيل يوحنا: ١/ ٢٧.

(٣) إنجيل يوحنا: ١/ ٨.

(٤) إنجيل متى: ١١/ ٩.

وقال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٥].

وعند الموازنة بين ما جاء في الإنجيل وما جاء في القرآن الكريم نلاحظ مايأتي:

لقد ركَّزت الأناجيل على يحيى عليه السلام بصفة أنَّه بشيرٌ قد سبق المسيح مجيئه، يبشِّر به اليهود. ثمَّ هو بعد ذلك يقوم بمهمَّة التَّعميد بماء نهر الأردن بوصفه عملاً أساسيّاً له، إنَّهم يدعونه في أناجيلهم (يوحنا المعمدان) ولا يكاد يعرف بينهم إلا بهذا الاسم.

والتَّعميد موجودٌ عند اليهود قبل المسيحية، ويُعدُّ شعيرةً من شعائر النَّصارى الدِّينية اليوم، ولكل معتنقٍ للدِّين المسيحي.

(ويعتقدون أنَّها تمحو الخطيئة الأصلية في الإنسان وتمنحه ولادةً روحيةً جديدةً. وإن كان راشداً، فإنَّ التَّعميد يمحو له جميع الخطايا الَّتي اقترفها مدَّة حياته قبل اعتماده، وتُدْخِله في

حظيرة الكنيسة، فيصبح ابناً لله بالتَّبنِّي، وأخاً للمسيح، وعضواً عاملاً في جسده السري...)[1].

بينما نجد في القــرآن الكريم أنَّ يحيى عليه السلام نبيٌّ من الأنبياء ورسولٌ إلى بني إســرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك ماسواه، وتطبيق ما جاء في توراة موسى عليه السلام من شرائع وأحكامٍ. وقد صدَّق بعيســى كلمة الله واتَّبعه، ولم يَشرَع المسيح -كما جاء فــي كتب النَّصارى- في دعوته إلا بعد أن أُودع يحيى عليه السلام سجن (هيرودس) ملك اليهود الَّذي قتله بعد ذلك[2].

ولا يفوتني أن أشــير هنا إلى أن القرآن الكريم قد أشار إلى عدم مشــروعية التَّعميد، كما ذهب إليه غير واحدٍ من العلماء في تأويل قولــه تعالى: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

قــال الطَّبري: يعني تعالى ذكره بالصَّبغة صبغة الإســلام؛ وذلك إنَّ النصــارى إذا أرادت أن تُنَصِّــرَ أطفالها جعلتهم في

(١) راجع كتاب يســوع المسيح، للأب بولس إلياس اليســوعي، ط٢، منشورات المطبعة الكاثوليكية - بيروت، ص ٣٠٤.

(٢) إنجيل متى: ٤.

ماء لها تزعم أنَّ ذلك لهم تقديسٌ بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام وإنَّه صبغة لهم في النصرانية[1]، ويقولون: هذا طهور مكان الختان، وسمِّي الدِّين صبغة لبيان أثره على الإنسان كظهور الصِّبغ على الثَّوب[2].

(١) انظر: تفسير الطبري، (ج٣،ص ١١٧). تحقيق محمود محمد شاكر.
(٢) تفسير القرطبي. الطَّبعة الثَّانية (ج٢، ص ١١٤).